العُدول اللّفظيُّ في الفاصلة القُرآنيّة
بين مراعاة الفاصلة واعتبار دلالة السّياق

The verbal rejection in the Quranic commas
Between the verbal rhythm of the Quranic commas
and the Semantics of the context

طالب دكتوراه: غربي عيسى [1*] - ا.د. ابن علي سليمان [2]

1 جامعة : عمّار ثليجي بالأغواط (الجزائر)

2 جامعة : عمّار ثليجي بالأغواط (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 21 أوت 2019 ؛ **تاريخ المراجعة :** 21 ديسمبر 2019 ؛ **تاريخ القبول :** 31 ديسمبر 2019

ملخص:

خَلُصَ المَقالُ إلى أنّ العُدولَ اللّفظيّ في الفَواصلِ القرآنيّةِ لا يُراعِي الإيقاعَ اللّفظيَّ للفواصلِ القرآنيّةِ فَحَسْبُ، بلْ يتعدّاهُ إلى اعتبارِ دَلالةِ السِّياقِ، فالانسجامُ اللّفظيُّ والمَعنويُّ في فواصلِ الآياتِ منْ خصائصِ النَّظْمِ القُرآنيّ وإعجازِهِ البَيانيّ .

والفاصلةُ القرآنيّةُ عنصرٌ تعبيريٌّ مُتميّزٌ ومُثيرٌ للإيقاعِ، وهيَ مَلمحٌ أساسٌ منْ مَلامحِ الإيقاعِ المُوسيقيّ والنّظمِ الصّوتيّ والدّلاليّ في القرآنِ الكريمِ ، وهيَ فضلًا عنْ إيقاعِهَا المُوسيقيّ المُؤثّرِ في النّفسِ، نجدُها ترتبطُ بما قبلَهَا منَ الكلامِ بحيثُ تنحدِرُ على الأسْماعِ انحدارًا وكأنّ مَا سبقَهَا لمْ يكنْ إلا تمهيدًا لهَا ، بحيثُ لوْ طُرِحتْ لاختلَّ المعنَى .والفاصلةُ القرآنيّةُ تردُ في النّصِّ القرآنيّ،وهيَ تحملُ شُحنَتيْنِ: شحنةٍ منَ الواقعِ المُوسيقيّ ، وشحنةٍ منَ المعنَى المُتمّمِ للآيةِ ، وكُلُّ مَا عُلّلَ في القرآنِ الكريمِ منْ ظواهرَ لفظيّةٍ علَى اعتبارِ مُراعاةِ الفاصلةِ القُرآنيّةِ يُمكِنُ أنْ يُوجدَ لهُ تَعليلٌ مَعنويّ غيرَ الاعتبارِ اللّفظيّ .

الكلمات المفتاحية: فاصلةٌ قرآنيّةٌ ؛ عُدُولٌ لفظيّ ؛ دَلالةٌ ؛ سِياقٌ.

Abstract:

The article is concluded that the verbal rejection in the Quranic passages do not take into account the verbal rhythm only of the Quranic commas, but to the meaning of the context, the verbal and moral harmony in the verses' commas is one of the characteristics of the Quranic system and its miraculous statement.

The Quranic comma is a distinctly expressive element and rhythmic, and a prominent feature of the music rhythm and phonetic system in the Holy Quran. In addition to the fact that it has an effective rhythmic music in the soul, we find it associated with the previous speech to captivate the ears as an introduction; if it is ignored, the meaning would be confused.

And the Quranic comma is presented in the Quranic passage, it carries two charges: The first is from the musical reality, and the second is from the complementary meaning of the verse . All what is explained in the Holy Quran, including the verbal phenomena and putting in consideration the Quranic comma

Keywords: verbal rejection ; Quranic commas ; Semantics ; context

* Corresponding author, e-mail: gharbiaissa75@gamil.com

مقدمة:

إن الدّراساتِ الدّلاليّة والصّوتيّة والأسلوبيّة... لفواصلِ القُرآنِ الكريمِ قديمًا وحديثًا أثبتَتْ أنَّ هناكَ انسجامًا لفظيًّا ومعنويًّا مُطَّرِدا في الفواصلِ القرآنيّة ، سواءٌ أ كان في الآية (الفاصلة) الواحدة أم في الآيات(الفواصل) المتتابعة... عَلِمَهُ منْ عَلِمَهُ ، وجَهِلَهُ منْ جَهِلَهُ ، وهناكَ فواصلُ كثيرةٌ فتحَ الله على أهلِ العلمِ مَغَالِيقهَا فاستنبَطوا دَلالَاتِهَا ، وتبيَّنوا الانسجامَ اللّفظيّ والمَعنويّ فيها ، وهناك من الفواصلِ ما اسْتُغْلِقَ على أهلِ العلمِ ...

و<< صحيحٌ أن قِسمًا من الّذين بَحثُوا في أسْرارِ التّعبيرِ القُرآنيّ لم يُوفّقُوا في اكتِنَاه أسْرار التّأليفِ ، بحيْث تُدرِك أن تَعْليلاتِهم مُتكلّفة ، وتَأويلاتِهم بعيدةٌ ، وربما أدْركتَ أيضًا أنّه لو كانَ الكلامُ على غيْرِ هذه الصّورة لأوّلُوهُ وعلّلُوهُ تعليلًا آخر، ولكنْ هناك قسمٌ آخر تمكنّ منْ أنْ يضعَ يده على أنفسِ الجَواهرِ في التّأليف ، وأنْ يَسْتَكْنِهَ أدقّ أسرارِ التّعبير ، منْ غيرِ تكلّف ولا غموضٍ >> [1] .

ولعلّ الله عزّوجلّ يفتحُ على عبادِهِ ، وخاصةً الدّارسين لكتابِهِ والباحثينَ في فواصلِهِ فتحًا عظيمًا لم يفتحهُ على من سبقهمْ ، هو وليّ ذلك و القادرُ عليهِ .

العرض :

سنحاولُ فيما يلي أن ندرسَ بعضَ المَواطنِ اليسيرة [2] الّتي تمّ فيها العُدولُ اللّفظيّ في الفاصلة القُرآنيّة ، والّتي ظاهرُها مُراعاة الفاصلةِ ، ونُنَقّبَ فيمَا وَصَلَ إليْه أهلُ العلمِ في تَعْليلِ هذهِ الفواصلِ ، في مُحَاولةٍ منّا لمَعرفةِ المَنحَى الدّلاليّ لها ، باحِثينَ في الانسجامِ اللّفظيّ والمعنويّ فيها :

أولا : حذف المفعول به في الفاصلة القرآنيّة

قال الله تعالى : << **مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى** >> [3]

علّلَ الزّمخشريّ [4] حذفَ المَفعولِ بهِ في هذهِ الفاصلةِ بقولهِ : << في حذفِ الكافِ وُجُوهٌ :

أحَدُها : حُذفَتْ اكتفاءً بالكافِ الأوْلى في ودّعك ، ولأنّ رؤوسَ الآياتِ بالياءِ [5] فأوْجبَ اتفاقُ الفواصلِ حذفَها .

وثانيهَا : فائدةُ الإطلاقِ أنّه ما قلاكَ ولا أحدًا ممَّنْ أحبّك إلى قيامِ القيامةِ ، تقريرًا لقولهِ صلّى الله عليه و سلّم : " **المرء مع من أحب** " [6] >> [7] .

وذكرَ البِقاعيّ [8] أنّ قولهُ تعالَى : " **وما قَلَى** " أي : وما أبغضَكَ بغضًا ما ، وحذْفُ الضّمير اختصارٌ لفظيٌّ لِيَعُمَّ ، فهو من تقليلِ اللّفظِ لتكثيرِ المعنى [9] .

وذهب بعضُ المفسّرين إلى القَوْل بأنّ " مَا قَلَى" ، أي : وما أبغضكَ، وحَذَفَ المفعولَ لِئَلّا يُواجَهَ عليه الصّلاة والسّلام بنسبةِ القِلى ، وإنْ كانتْ في كلامٍ مَنفيٍّ لُطْفًا به صلّى الله عليه وسلم وشفقةً عليْه عليْهِ الصّلاة والسّلام أو لنفيِ صدُورهِ عنهُ عزّوجلّ بالنّسبة إليه صلّى الله عليه وسلّم وَلأحدٍ من أصحابهِ ومنْ أحبَّهُ صلّى الله عليه وسلّم إلى يوم القيامة، أو للاستغناءِ عنهُ بذكرهِ من قبْلُ ، معَ أنّ فيهِ مُراعاةً للفواصلِ [10] .

وذهبَ الدّكتورُ فاضل السّامرائيّ [11] إلى تعليلِ ذلكَ بقولهِ :

<< يذكرُ النُّحاة أنّ المفْعولَ بهِ قد يُحذفُ لتَناسبِ الفواصلِ ، كقولهِ تعالى: " مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَ مَا قَلَى " أي : " وما قلاكَ " ، غيرَ أنّني أرَى لهذا الحذفِ غَرضًا بديعًا و سرًّا لطيفًا عِلاوةً على ما ذكرُوهُ ، وهوَ أنّ الحَذفَ ههنَا للإكرامِ والتّعظيم ، وذلك أنّه تعالَى لم يُرد أنْ يُواجِهَهُ بالقِلى ، فيقول : " وما قلاك " ، وإنّما اكتفَى بالمفعول السّابق إكرامًا لرسول الله من

أنْ يَنالَهُ الفعلِ ، ونحوُ هذا يَجرِي في كلامنَا ، كأنْ يقولَ أحدٌ لآخرَ:" بلغني عنكَ أنّكَ شتمْتَ وقُلتَ وقلتَ "، فيقول : " لا ، واللهِ ما شتمتُ ، ولا قلتُ ، فحُذفَ المفعولُ من الفعلَيْن تعظيمًا لهُ منْ أنْ ينالَهُ الفعلُ " >> [12] .

وذكرتْ بنتُ الشّاطئ [13] أنّ الحذفَ قد يكون تعظيمًا لشأن المحذوف، ففي الأمر المحبوب نفَى الله تعالى بقوله : << مَا وَدَّعَكَ >> ، باستخدام ضميرِ المخاطب ، لأنّه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، وفيه تكريمٌ له بذكر حرفِ المخاطَب ، أمّا في قوله : << وَمَا قَلَى >> فلا يصح استخدام " قَلَى " بين المُحبّين ، وقد كرّم الله تعالى رسولَه صلّى الله عليه و سلّم عنْ أنْ يكون منَ المبغوضِين ، فلمْ يقل : " ومَا قَلَاكَ " ، حتّى لا يكونَ الخِطاب مباشرة للرّسول صلّى الله عليه وسلّم من ربّه الّذي يُحبّه ، ولا يُقْلِيهِ ، واستخدامُ فعل " قَلَى" لا يليقُ أنْ يُنسبَ للرّسول صلّى الله عليه وسلّم ، فجاء التّكريم في هذه الآية من الله تعالى لرّسوله في ذكرِ المفعولِ به ب << مَا وَدَّعَكَ >> ، و تكريمُه بعدم ذكرِ المفعولِ به في << مَا قَلَى >> ، فكرّمَه بالذكرِ وبالحذفِ [14] .

ورَفضتْ بنتُ الشّاطئ أنْ يكونَ حذف الضّمير من " قَلَى " لمجردِ رعاية الفواصل ، فقالت : << ذهبَ الفرّاء [15] إلى أنَّ القُرآنَ جرَى فيها على طرْح كاف الخِطاب من " قَلَاكَ " اكتفاءً بالكاف الأولى في"وَدَّعَكَ "، ولمُشَاكَلة رُؤوس الآيَاتِ ، وعَدّ الفخْرُ الرّازي[16] منْ وُجوهِ حذفِ الكافِ رعايةُ الفاصلةِ .

ومثله النَّيْسَابُورِي[17] في تفسيرِهِ لآياتِ " الضُّحى " ، ونظائرِها .

ولوْ كانَ البيانُ القرآنيُّ يتعلّق بهذا المَلْحَظِ اللّفْظيّ فحسْب لمَا عدَلَ عنْ رعايةِ الفاصلةِ في الآياتِ بَعدها :" فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ " [18] ، وليسَ في السّورة كلّها تاءٌ فاصلة، بلْ ليس فيها حرفُ ثاءٍ على الإطلاقِ ، وعلى مَذهبهم كانتْ الفواصلُ تُرْعَى بمثلِ لفظِ : " فَخَبِّرْ " لِمُشاكلةِ رُؤوسِ الآياتِ بالعُدُولِ إلى هذا اللّفظ عن " فَحَدّثْ ".

ونرَى واللهُ أعلم أنّ حذفَ كافِ منْ : << وَمَا قَلَى >> مع دلالة السّياق عليهَا ، تَقْتَضِيهِ حسَاسيّة مُرْهَفَة بالغةُ الدّقة واللُّطفِ ، هي تَحاشِي خِطابه تَعالَى رسولَهُ المُصطفَى في مَوقفِ الإيناسِ بصَريح القوْل :" وَمَا قَلَاكَ " لِمَا في القِلى منْ حِسّ الطَّردِ والإبعادِ و شدَّة البُغض ، وأمّا التّوديعُ فلا شيءَ فيهِ منْ ذلكَ ، بل لعلَّ الحِسَّ اللّغويّ فيه يُؤذِنُ بأنه لا يكونُ وداعٌ إلا بيْنَ الأحبابِ ، كمَا لا يكونُ توديعٌ إلَّا مع رجاءِ العَودةِ وأملِ اللّقاءِ .

وحُذفتْ كافُ الخِطاب في الفواصل بعدَها لأنّ السّياقَ بعدَ ذلكَ أغنَى عنْها ، ومتَى أعطَى السّياقُ الدّلالةَ المُرادةَ مُستغنيًا عنِ الكافِ فإنَّ ذِكْرَهَا يكونُ منَ الفُضولِ والحَشْوِ المُنَزَّهِ عنهمَا أعْلَى بيَان >> [19] .

ثانيا : التّقديمُ و التّأخيرُ في الفاصلة القرآنيّة :

قال تعالى:<< فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى >>[20]

و قال أيضا : << فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ، قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، رَبِّ مُوسَى وَهَرُون >> [21]

فقدْ قدّم الله تعالى ذِكْرَ" هرونَ " على " مُوسى " عليهما السّلام في سورة " طه " ، وقدّم ذِكْرَ" موسى " على " هرون " عليهما السّلام في " الشّعراء ".

والظّاهر أنّ ذلك ما تَقْتَضِيهِ أوَاخِر الفواصلِ ، ولكنَّ الدّكتور فاضِل السَّامرائيّ تفطّن إلى مَلْحَظٍ دَلاليٍّ هَامٍّ ، يَسْتَوْجِبُه السّياقُ العامُّ لكلّ سُورة ، فقال : << صَحيحٌ أنّ أواخِر الآيِ في سُورة " طه " تقْتضي أنْ يكونَ " موسى " في آخرِ الآية ، وفي " الشّعراء " تقْتضِي أنْ تكونَ كلمةُ " هَرُونَ " هي الفاصلةُ ، ولكنْ هُناك ملحظٌ آخر يقتضِي تَقديمَ ما قُدِّم وتأخيرُ ما أُخِّر، ولوْ لمْ تَكنْ أواخرُ الآيِ كذَلك ، وانْظرْ إلى الفرقِ بينَ القِصَّتيْن في السُّورَتيْن :

1 - إنّ ذِكْر "هرون " تكرّر في سورة " طه " كثيرا ، وقد جعله الله شريكا ل "موسى" في تبليغ رسالته في حِين لم يَرِدْ في سورة " الشّعراء " إلّا قَليلًا ، من ذلك قوله في سورة " طه " :

أ - " وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، هَرُونَ أَخِي ، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وَ أَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي " [22]

ب - " اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي ، وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي " [23]

فقد أمرَ كُلا من " موسى " و " هرون " بالذّهاب بآياته ، ولم يَخُصَّ " موسى " بذالك .

ج - وكرّر ذلك ، فقال:" اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا ، لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى " [24]

د - وكان الجوابُ صادرًا منهُما معًا :" قَالَا : رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى"[25]

هـ - وقد طَمْأَنَهُمَا ربُّهما معًا ، فقال :" قَالَ : لَا تَخَافَا ، إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى " [26]

و- وأمرَهما معًا ، فقال : " فَأْتِيَاهُ فَقُولَا : إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ، فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ، قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ " [27] .

ز- وكان خطابُ فرعونَ لهمَا معًا : " قَالَ : فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى " [28] ، ولم يقلْ له : فمنْ ربُّكَ ؟

ح - ونسَبَهُما كلهما إلى السِّحر ، فقالَ : " قَالُوا : إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ، يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى " [29] .

ط - وقد وَردَ تَخْليف " موسى " ل "هَرون " في قومه فنصح لهم في غيبته فقال تعالى : " وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَرُونُ مِنْ قَبْلُ : يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ ، فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي " [30]

ي ولقد عاتَبَ "موسى" أخاه "هرون" بشِدّة: " قَالَ : يَا هَرُونُ، مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا، أَلَّا تَتَّبِعَنِ " [31]

في حين لم يَرِدْ " هرون " في سورة الشّعراء إلّا قليلا ، وهو قوله :

أ " فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ " [32]

ب " فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ، إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ " [33]

وفيما كانَ الخِطابُ في آياتِ " طه " مُوَجَّهًا إلى "موسى " و"هرون " معًا كانَ مُوَجَّهًا إلى " موسى " وَحْدَه في " الشُّعراء " : " قَالَ : لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ " [34]

وقدْ نَسَبَ "موسى" وحْده إلى السِّحْر، ولم يَنسبْ معه "هرون" كما جاء في" طه " فقالَ : " إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ " [35]

ولمْ يَرِدْ ذِكْرٌ لهرونَ بعدَ هذا .

فأنتَ ترَى أنّ القِصّة في " طه " مَبْنِيّةٌ على التَّثْنيّة ، وأنّها في الشُّعراء مَبْنِيَّةٌ على الإفْرادِ .

2 هذا منْ ناحِية ، ومن ناحيَة أُخرى : إنّه ذكَرَ في آياتِ " طه " خوف " موسى " :" فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى "[36]

ولمْ يَذْكُرْ حالة الخَوْف هذه في " الشّعراء " .

فأنتَ ترى أنّه ذُكِرَتْ جَوانبُ الكَمالِ والقوّة في " موسى " في " الشُّعراء " ، ولمْ تُذكرْ حالةُ الضّعف البشريّ الّذي اعْتَرَاهُ ، فاقْتَضَى كلُّ ذلك المُغَايَرَة في التّعبير بيْن القِصَّتَيْن ، وأظنُّك في غِنًى عنْ أنْ أقول لكَ : لوْ قِيل لك : قدّمْ وَأخِّرْ بيْن الاسميْن حسْبَمَا يَقْتَضِيهِ السِّيَاقُ لقَدَّمْتَ "هرون" على" موسى" في " طه " و"موسى" على " هرون " في" الشّعراء ".

وعلاوةً على ذلك هناك طريفةٌ أخرَى ، وهي أنّ سُورة " طه " تبدأ بالحرفين : " الطاء " و" الهاء " وسُورة " الشّعراء " تبدأ ب" طسم " ، فكلتا السّورتيْن تبدأُ ب " الطاء " غيْر أنّ الحرْف الأخيرَ من " طه "هو" الهاء "، وهو أوّل حُروف

"هرون" وليْس فيها حرْف من حروف " موسى" ، والحرفُ الأخيرُ من" طسم "هو" الميم " وهو أوّل حرف من حُروف " موسى "، وليْس فيها حرْف من حروف " هرون " ،

أفلَا يزيدُ حُسْنًا على حُسْن تقديمُ " هرون " على" موسى " في " طه "، وتقديم " موسى " على " هرون " في" الشّعراء " ؟

وقد ترى ذلك إغْراقًا في التّعليل ، وربّما كانَ كذلك ، إلا أنّ العَجيب أنّ كلّ سورةٍ تبدأ ب " الطاء " تَرِدُ فيهِ قِصّة " موسى " في أوائِلِهَا مُفصّلةً قبْل سائرِ القصَصِ ، مثل :(" طه "، و" طس "، و" طسم " في" القَصَص " و" طسم " في الشّعراء) ، وليس في المُواطن الأخْرى ممّا يَبْدأ بالحُروف المُقَطّعة مثل ذلك ، فالقَاسِم المُشْتَرَكُ فيمَا يَبدأ بالحرف" ط " قصّة "موسى" مُفصّلة في أوَائل السُّورة .

والمُلاحظة الأُخْرى أنَّ ما يبْدأ ب " طسم " تكون قصة موسى فيها أطْول ممّا يَبْدأ ب " طس " ، فكأنّ زِيادةَ " الميم " إشْعارٌ بزيادةِ القِصّة .

فانظرْ يا رَعَاكَ اللهُ أيّ سرٍّ منْ أَسْرارِ التّعبيرِ هذَا ؟ >> [37]

قال الباقلاني [38] : << إنّ إعادةَ ذِكْر القِصّة الواحدةِ بألفاظٍ مُختلفة تُؤدّي معنًى واحدًا من الأمرِ الصّعْب الّذي تَظهرُ به الفصَاحةُ ، وتتبيَّنُ به البلاغَةُ ، وأُعِيدَ كثيرٌ منَ القصَصِ في مَواضعَ كثيرةٍ مُختلفةٍ على ترتيباتٍ مُتفاوِتَةٍ ، ونبَّهُوا بذلكَ على عجْزِهِمْ عنِ الإتْيَانِ بمثلهِ مُبْتدأً بهِ ومُكَرَّرًا ... فعلَى هذَا يكونُ المَقْصِدُ بتَقديمِ بعْضِ الكلماتِ وتَأخيرِهَا إظهار الإعجاز على الطّريقتيْن جميعًا دُونَ السَّجْع توَهَّمُوهُ >> [39] .

وذَكرَ أبُو حيّان [40] في البحْر عِدّة وُجُوهٍ لهذَا التَّقديم ، وهي : << أنّ ذلكَ بِسبَبِ الفواصلِ ، وأنَّ الواوَ لا تَقْتَضِي التَّرتيبَ ، وأنّه يَحْتَمِل أنْ يكونَ القوْلانِ منْ قائِلينَ نَطقَتْ طائفةٌ بقولِهِمْ : " رَبِّ مُوسَى وَهَرُونَ " وطائفة بقولِهِمْ : " رَبِّ هَرُونَ وَ مُوسَى " ، ولمّا اشْتركُوا في المَعْنَى صحَّ نسبَةُ كلّ منَ القَوْلَيْنِ إلى الجَميعِ وقِيلَ : قُدِّمَ "هرونُ" لأنّه أكبرُ سِنًّا من "موسى" وقِيلَ لأنّ " فِرْعَوْنَ " كانَ ربَّى " موسى " عليه السّلام فبدأُوا ب "هارون " ليزُولَ تَمْوِيهُ " فرعونَ " أنّهُ رَبّي " موسى " ، فيقول : أنَا رَبَّيْتُه ، وقالُوا :

" بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى " ، ولمْ يَكْتفُوا بقوْلِهم : " بِرَبِّ الْعَالَمِينَ " للنَّصِّ على أنّهم آمنُوا برَبِّ هَذَيْن ، وكانَ فيمَا قِيلَ يَزْعُمُ أنَّه ربُّ العالمِينَ >> [41].

ومُعظمُ المُفسّرين لا يَخرجُون عنْ هذهِ الأقْوالِ الّتي ذكرَها أبُو حيَّان في البَحر ، يَزيدُ بعضُهم أحيَانًا على بعضٍ في ذِكْر هذهِ الوُجُوهِ [42] .

وذهبَ ابنُ جَرِير الطَّبَرِيُّ [43] إلى أنّ تَقْديمَ "هَرون " في سُورَة " طه " هو لِتَسْتَوِيَ بِهِ رُؤُوسُ الآي [44] وَتَبِعَهُ على هذَا ابنُ عَطيّة [45] في التّفْسِير [46] .

وذهبَ الأستاذُ فضْل عبّاس [47] مَذْهَبًا آخرَ غيرَ ما ذُكِرَ ، فقالَ:

<< سُورةُ " طه " هيَ السّورةُ الوَحِيدةُ الّتِي حَدّثْنا عمّا حصَل لِ " موسى "

عليه السّلام من الخَوْفِ ممّا فعلَه السَّحرَةُ ، وكانَ حَرِيًّا بِهِ أنْ لا يكونَ منْه ذلكَ ف "هرون " أَوْلَى منْه ، لأنّه لمْ يُشَاهدْ ما شاهدَهُ " موسى " ، ولمْ يَشْرُفْ بمُنَاجَاةِ الحَقّ ، قال تعالَى : " فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى "[48] فكانَ حَرِيًّا بِهِ أنْ يكونَ رَابِطَ الجَأْشِ ثابتَ الجَنَانِ ، منْ أجلِ ذلكَ يَلوحُ لي أنَّ " هرون " عليْه السّلام قُدِّمَ في هذهِ السُّورة ، وهيَ قِيمَةٌ قُرآنيَّةٌ عَظِيمةٌ حَرِيٌّ بنَا أنْ نَقِفَ عنْدها ، ونَتَدَبَّرَها ، وهيَ تَقديرُ كلّ عامِلٍ بِعَمَلِه . >> [49]

وأما المُعاصرون : فذهبَ الدّكتور عبد الفتّاح لاشين [50] إلى أنّ التّقديم لأجل الفاصلةِ [51]

ونقلَ الحسْناوي [52] عن الغمراوي [53] أنّ هَرون عليه السّلام أفصحُ منْ مُوسى عليه السّلام وأكبرُ منه ، وهما مِيزتَان تُسَوِّغَان تَقديمهُ في أحد المَواضع حينَ يُذْكرانِ [54] .

وذَكرَ الحَسْناوي أنّ هذه الآيةَ تُعَدُّ منَ الحُجَجِ القويّة لِمُثْبِتِي السّجع في القرآن الكريم [55] ... وقال أيضا : << إنّ هناك وجهًا بيانيًا بعيدًا يُصوِّر الحال النّفسيّة الّتى كان عليها السَّحرة لمّا ظهرتْ معجزةُ " موسى" فأُلْقُوا سُجَّدًا يَتلَعْثمون بالشّهادة كحَالِ العبْد الذي فرح بلقاءِ راحلتِه بعد ضَيَاعِها >> [56] ، وذكر الحديثَ المَشهور في ذلك .

ومَوضعُ الغَرابة في هذا القولِ وكلّه غريب أنّه يُنَاقضُ الآياتِ القرآنيّة التي ذكرتْ أنّ السّحرة ثبَتُوا على إيمانهم ، وأعلنُوهُ بكلّ جُرأةٍ على الرّغم من تَهديد "فرعونَ" لهم بالصَّلب ، وليسَ يظهرُ كيفَ يجتمعُ الثّباتُ والجُرأة في القولِ مع التّلعْثمِ فيه والتّخبُط ، وكيفَ يكونُ حالُ المُتلعثِم بالكلام لا يَدري ما يقولُ ؟ هل يَثبتُ على إيمانٍ يُزَلزِل كيانَ " فرعونَ " و جَبَرُوتِه ، أمْ حينَ يحسّ بالخَطر يَتراجعُ ؟ [57] .

وذهبَ الدّكتورُ " أحمد نَوفل " [58] إلى القَولِ بأنّ سُورة " طه " هي السّورة الوَحيدةُ الّتي ذُكرَ في أوّلها الحَرف "هاء " من بين السّور المبْدوءة بمثلِ هذه الحُروف ، وفيها ذكر هذه القصّة ، فتقديم " هرون " لمُراعاة التّناسب بين الهاء وهاء " هارون "... هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، فالسّحرة لما رأوْا من عَصا " موسى " عليه السّلام وفعْلها الأعاجيبَ على جِهة الحقيقة لا على جِهة التّخييل أيقنوا أنّ " موسى " عليه السّلام نبيّ وأنّ " فرعونَ " قد خدعهمْ بزعْمِهِ أنّ " مُوسى " سَاحر ، فقدموا " هرون" نكاية ب " فرعون" ، وكأنّهم يريدون القولَ : نحنُ لم نؤمنُ ب " موسى " وحدَه بل ب " هرون " قبله [59] .

ثالثا : إيثار لفظ على لفظ في الفاصلة القرآنيّة :

قال الله تعالى : << تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى >> [60]

لماذا اختار الله تعالى كلمة "ضيزى" فاصلةً ، ولم يقلْ جائرةً أو ظالمةً...؟

للرّافعي [61] رفعَ الله دَرجتَه ، وروّحَ روحَه – كلامٌ هنا لم أجدْ لأحدٍ من الّذين تكلّمُوا في القُرآن تفسيرًا أوْ بيانًا ، لم أجدْ أحسنَ منْه ، وحَرِيٌّ به أنْ يُكتب بالتِّبْرِ لا بالحِبْرِ [62] ...، قالَ عليْه سَحائبُ الرّحمة والرّضوانِ : << وفي القرآن لفظةٌ غريبةٌ ، هي من أغربِ ما فيهِ ، وما حَسُنَتْ في كلامٍ قطُّ إلّا في مَوْقعهَا منهُ ، وهي كلمة "ضيزي" من قوله تعالى : " تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى " ، ومع ذلك فإنّ حسْنها في نَظمِ الكلامِ من أغربِ الحُسْن وأعجبِه ، ولو أدَرْتَ اللّغة عليْها ما صَلُحَ لهذَا المَوضِع غيرهَا ، فإنّ السّورةَ الّتى هي فيهَا و هي سُورة " النّجم " مُفصّلة كلّها على اليَاء ، فجاءتْ الكلمةُ فاصلةً من الفواصلِ ، ثمّ هي في مَعْرضِ الإنْكارِ على العَرب ، إذ وَرَدَتْ في ذِكر الأصْنامِ وزَعمِهم في قِسمةِ الأولاد ، فإنّهم جعلُوا الملائكةَ والأصنامَ بناتِ الله مع أولادهم [63] البناتِ ، أيْ : دفنهم على الحياةِ ، فقال تعالى : " ألكمُ الذَّكر ولهُ الانْثَى ، تِلكَ إذًا قِسْمَة ضِيزَى" [64] ، فكانتْ غرابةُ اللّفظِ أشدُّ الأشْيَاء مُلاءمَةً لغرابةِ هذه القسمةِ الّتى أنكرَها ، وكانتْ الجُملةُ كلّها كأنّهَا تُصَوِّرُ في هيئةِ النُّطق بهَا الإنكارَ في الأوْلى ، والتّهكمَ في الأخْرى ، وكانَ هذا التّصويرُ أبلغُ ما في البَلاغة وخاصةً في اللّفظة الغَربية الّتى تمكّنت في مَوضعهَا من الفصْل ، ووَصفَتْ حالةَ المُتهكِّم في الأخرى في إنكاره من إمالةِ اليدِ والرّأس بهَذيْنِ المَدَّيْنِ فيهَا إلى الأسْفل والأعْلى ، وجَمَعت إلى كلّ ذلك غرابةَ الإنكارِ بغرابتِها اللّفظيّة.

والعربُ يَعرفُونَ هذا الضّربَ من الكلامِ ، ولهُ نظائرُ في لغتِهِمْ ، وكمْ من لفظةٍ غريبةٍ عندهمْ لا تَحْسُنُ إلّا في موضعِها ، ولا يكونُ حُسْنُها على غَرابتِهَا إلا أنّها تُؤكِّد المعنَى الّذي سِيقت لهُ بِلفظِهَا وهيْئة منطقِها ، فكأن في تأليفِ حُروفِهَا معنًى حِسّيًا ، وفي تآلفِ أصواتِها معنى مثله في النّفس، وقدْ نبّهْنَا إلى ذلكَ في بابِ اللّغةِ في تاريخ آدابِ العربِ .

وإنْ تَعْجَبْ فاعْجَبْ لِنظمِ هذهِ الكلمةِ الغَريبةِ وائتلافِهِ على ما قبلها ، إذْ هي مَقطعانِ : أحدهما مدّ ثَقِيلٌ والآخر مدٌّ خَفِيفٌ ، وقدْ جاءَت عَقِبَ غُنَّتَيْنِ في" إذَا " و" قِسْمَة " وإحداهما خَفِيفة وحادّة ، والأخرى ثَقيلةٌ مُتَفَشّيَةٌ ، فكأنّها بذلكَ ليْستْ إلّا مُجَاوَرَة صَوتيّة لتَقطيعٍ مُوسيقيّ ، وهذا معنًى رابعٌ للثّلاثةِ الّتي عددنَاها آنفا ، أمّا خامسُ هذه المَعاني ، فهوَ أنّ الكلمةَ الّتي جَمعت المَعاني الأربعَة على غَرابتِها ، إنّما هي أربعة أحرف أيضا >> [65] فرَحِم الله الرّافعي ، فهذهِ دُرَّة منْ لُؤْلُؤ عِقْدِهِ .

رابعا: إبدال لفظ بلفظ في الفاصلة القرآنيّة في السّياق القرآنيّ المُتَشابِه:

أ - قال تعالى : << إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ ، فَحَقَّ عِقَابِ >> [66]

ب - قال تعالى : << كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ ، فَحَقَّ وَعِيدِ >> [67]

لِمَاذا ختَمَ المَولى عزّوجلّ آيةَ سورةِ " ص " بفاصلةِ " عِقَاب " ، وختَمَ آيةَ " ق " بفاصلةِ " وَعِيد " معَ تَشَابُه سِياقِ الآيتيْن ؟

ذهبَ صاحبُ " الدُّرّة " إلى أنّ اختلافَ الفاصلتيْن هنَا لأجلِ مُراعاةِ التّناسُب بيْن الآيَةِ و سُورتِها [68] - مُراعاة الفَواصِل -

وتَبِعَه على هذا صاحبُ مَلاكِ التّأويلِ [69] ، والكَرْمَانيّ [70] في أسْرار التّكرارِ [71] .

وقالَ البِقاعيّ : << إنّه لمّا كانَ السِّياقُ في سُورة " ص " للشِّقاقِ والإذْعانِ للذِّكرِ الّذي هو المَوْعِظَةُ ذاتُ الشّرفِ و :

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأذَى *** حتَّى يُرَاقَ علَى جَوانبِه الدّمُ [72] .

كانَ الحَالُ مُقتضِيًا للعُقوبَةِ ، بخِلافِ ما في سُورة " ق " ، فإنّ السِّياقَ لإنْكارِهم البَعْثَ ، وصِحةَ النّذارَةِ وإثبات المجْدِ ، فكانَ الوعيدُ في ذلكَ كافيًا >> [73] .

وذهبَ أهلُ العلمِ إلى أنّ العِقابَ أشدّ من الوعيدِ ، والصّفات المَذكورة للكافرين في " ص " أشد ممّا في " ق " ، وهم في " ص " أشدّ وأعتى على المُسلمين ممّا في " ق "، وذكر من عقوبات الأُمَمِ السّابقة في " ص " ما لمْ يَذْكُرْ في " ق " ، وذكرَ من تَهديدِ الكافرينَ وتوعّدهم في " ص " ما لم يذكرْهُ في "ق"، فناسب ذلك أنْ يذكر في "ص" أشدّ ممّا ذكرَهُ في" ق ".

و بالمُقارنة بيْن السّورتيْن يتّضحُ :

أ أنّ الله عزّوجلّ وصفَ الكافرين في " ص " أنّهم في عزّة وشِقاق ، فقال:<< بلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ >>[74]،ولمْ يقلْ مثلَ ذَلك في"ق"

ب وذكرَ أنّه أهلكَ من القُرون المُكذّبة السّابقة الكثير ، فاسْتغَاثُوا ، و صَرخُوا ، فلم ينفعْهمْ ذلك ، فقال : << كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ >> [75] ، ولم يذكرْ مثلَ ذلك في " ق " .

ج - قال الكافرونَ في الرّسول صلى الله عليه وسلّم في" ص " ما لم يقولوه في " ق "، فقد قالوا في" ص " : << هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ >> [76] ،

ولم يقولوا مثله في" ق"

بلْ وردَ في " ق " ذِكرُ التّكذيبِ بالحقّ ، فقالَ : << بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ، فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ >> [77] .

ولكنْ وردَ في " ص " من التّكذيبِ ما هوَ أشدّ ، إضافةً إلى ما وردَ منْ وصفِ الرّسولِ بالسّحرِ والكَذبِ ، فقالوا : << مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ ، إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ، أَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي ، بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ >> [78] ، ولمْ يقولُوا مثلَه في " ق ".

هـ - وكان عجبهم في" ص " أشدّ ممّا في " ق " ، فقد قالُوا في " ق " : << هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ >> [79] ، وقالُوا في " ص " : << إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ >> [80] ، بالتّوكيد بإنّ واللّام ، والعُدُول عن صِيغة " عَجِيب " إلى " عُجَاب " ، وهي أشدّ عَجَبًا من عَجِيب.

و- وذكرَ في " ص " أنّ الكافرين طلبُوا السَّعيَ لنُصرةِ آلهتِهم ، فقال : << وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ >> [81] ، ولم يذكرْ ذلكَ عنهمْ في" ق "

ز- وكرَّرُوا إنكارَهم وتَكذيبَهم في " ص " وأنّهمْ لم يَسْمعُوا بمثل هذا ، فقالُوا : << مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ >> [82]

ح - وكرَّرُوا إنكارَهم أنْ يكونَ الله اختارَ محمّدًا لرسالتِهِ دُونَهم ، فقالَ على لِسَانِهم :<<أَأُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا>>[83] ، ولم يذكرْ مثلَ ذلكَ في" ق "

ط - توّعَدُهم ربُّنا في " ص" وهدَّدهم بقوله : << بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ >> [84] ، و النّفيّ ب " لمّا " يعْني أنّهم لم يَذوقُوا عذابَه إلى الآن ، فهو مُتَوَقَّعٌ أنْ يَذوقوهُ ، وهو تَهديدٌ لهمْ و توعُّد بارْتِقَابِ العَذابِ ، ولم يقلْ مثلَ ذلك في " ق " .

ي - وَذكرَ في" ص " أنّ جُندهمْ سَيُهزمُ ، فقالَ : << جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ >> [85]

ك ذكرَ في السُّورتيْن طَرَفًا من الأمَمِ السّابقة المُكذّبة غيرَ أنّه أكّد التّكذيبَ في " ص " أكْثرَ ممّا أكّده في " ق " .

فقد قال في " ص " : << إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ >> [86] ،

وقال في " ق " : << كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ >> [87] ، فزادَ التّكذيبَ تَوكيدًا في "ص" بأسْلوبِ القَصْر، فقالَ :<< إِنْ كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ >> 88 ولمْ يقلْ مثلَ ذلك في " ق ".

هذا إضافةً إلى أنّه وَصَفَ فِرعونَ في " ص " بمَا لم يَصِفْهُ في " ق "، فقال : << وَفِرْعَوْنَ ذُو الْأَوْتَادِ >> [89] ، ولم يَصِفْهُ بذاك في " ق ".

ل- ثمّ توعّدهم في" ص" بعذاب يأخُذهمْ لا يُمْهِلُهُمْ ، فقال:<< وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ >> [90] ، أيْ : مَا لهَا منْ تَوَقُّفٍ مِقدارَ فَوَاق، وهو ما بيْن حَلْبَتَيْ الحَالبِ ورضْعَتَيْ الرَّاضع[91]،ولمْ يذكرْ مثلَ ذلكَ في" ق " .

م - جاءَ في تفسيرِ ابن كَثير [92] : << وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ >> [93] : هذَا إنكارٌ منَ الله تعالَى على المُشركين في دُعائِهِمْ على أنفسِهم تَعْجيل العَذاب فإنّ"القِطّ" هو الكِتاب ، وقِيلَ : هو الحَظّ والنَّصِيبُ .

قالَ غيرُ واحدٍ من المُفسّرين : سَألُوا تَعْجيلَ العَذابِ ... كمَا قالُوا : << اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ [94] >> [95] ، ولمْ يَذكرْ مثلَ ذلكَ في " ق ".

ن - أمرَ رسولُ الله في" ص " بالصّبر على ما يَقولونَ ، فقالَ: << اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ >> [96] ، ولم يذكرْ مثلَ ذلك في "ق" في هذا السّياقِ .

فاتّضحَ أنّ مَوْقِف الكافِرين في " ص " أشدّ وأعْتَى ، فاسْتحقُّوا الزّيادةَ في التّهديدِ ، فقال الّذي هو أشدّ منَ الوَعِيد ، فناسَبَ كلٌّ سِيَاقَ ما وردَ فيهِ

ثُمّ إنّه ناسبَ كلُّ تَعْبِيرٍ مَكانَه منْ جِهة أخرَى ، فقد قال في " ص " : << إنْ كُلٌّ إلّا كَذّبَ الرُّسُلَ >> [97] ، فكانَ أسْلوبُ التّكذيبِ في " ص " أشدّ وآكَدُ ، لأنّه جاءَ بأسْلوبِ القَصْرِ ، فاسْتَحقُّوا من العُقوبَةِ ما هو أشدُّ ممّا هو في " ق " .

س - وإضافةً إلى ذلكَ أنّ كلمةَ " وعيد " وردَتْ في " ق" أربعِ مرّاتٍ، ولمْ تَرِدْ في " ص " بل هي أكثرُ سُورة في القرآن وَرَدتْ فيها هذه اللّفظةُ .

وأنّ كلمةَ العِقابِ لمْ تَرِدْ في " ق "، فناسبَ كلُّ تعبيرٍ مكانَه من جِهَة أخرَى والله أعْلَمُ [98]

هذا إضافةً إلى الانْسجامِ اللّفظيّ بيْن فواصِل كلِّ سُورةٍ .

خاتمة :

ختاما يتَبيَّنَ ممَّا مرَّ أنّ القرآنَ الكريمَ لا يُعْنَى بالفَاصلَةِ على حِسابِ الْمعنَى ، ولَا على حِسابِ مُقتضَى الحَالِ والسِّياقِ ، بلْ هو يحسبُ لكلِّ ذلكَ حِسَابَهُ ، فهوَ يختارُ الفاصلةَ مُرَاعًى فيها المعنَى والسِّياقَ والجرسَ ، ومُراعًى فيهَا خواتمُ الآيِ وجوُّ السُّورةِ ، ومُراعًى فيها كلُّ الأمورِ التّعبيريّةِ والفنّيّةِ الأخرَى ، بلْ مُراعًى فيهَا إلى جانبِ ذلكَ كلِّه عُمُومُ التَّعبيرِ القُرآنيّ وفواصلُهُ ، بحيثُ تدركُ أنّه اختارَ هذهِ الفاصلةَ في هذهِ السُّورة لسببٍ مَا ، واختارَ غيرهَا أو شبهًا بهَا في سُورة أخرَى لسَببٍ دعَا إليهِ وجمعَ بينَ كلِّ ذلكَ ونسَّقَهُ بطريقةٍ فنيَّةٍ في غايةِ الرَّوعةِ والجَمالِ حتَّى كأنَّكَ تحسُّ أنَّها جاءتْ بصُورةٍ طبيعيَّةٍ غيرِ مقصُودةٍ ، معَ أنّها في أعلَى دَرجاتِ الفنِّ والصِّياغةِ والجَمالِ .

فمَا أجلَّهُ من كلامٍ ومَا أعظمَهُ منْ تَعبيرٍ ! [99]

فالفاصلةُ فضلًا عن إيقاعِهَا اللَّفظيِّ المُؤثِّرِ في النَّفسِ نَجدُهَا ترتبطُ بالسِّياقِ العامِ للآيةِ أو الآياتِ ، بحيثُ تنْحدرُ على الأسْماعِ انحدَارًا ، وكأنَّ ما سبقهَا لمْ يكنْ إلّا تمهيدًا لهَا ، ولوْ طُرحتْ لاختلَّ المعنَى في الآيةِ ، وعلى هذَا الأسَاسِ نجدُ أنّ فواصلَ القرآنِ الكريمِ ليستْ مُجرَّدَ تَوافقٍ لفظيٍّ، بلْ لهَا دلالةٌ معنويّةٌ تنسجمُ فيه معَ الإيقاعِ اللّفظيِّ ، ولهذَا نجدُها تأتِي مُستقرّةً في أمَاكِنِهَا مُطمئنَّةً في مَواضعِهَا ، غيرَ قَلِقَةٍ ولَا نَافرةٍ ، ومنْ هذَا المُنطلقِ نستنتجُ أنّ العُدولَ اللَّفظيّ في فَواصلِ الكِتابِ العَزيزِ ليسَ هدفُه مراعاةَ الفاصِلةِ فحَسْب ، بلْ وَردَ لغرضٍ دَلاليٍّ ، فجمعَ في ذلكَ بينَ الانْسجامِ اللّفظيِّ و الإيقاعِ الصَّوتيِّ من جهةٍ وبيْنَ الدَّلالةِ المَعنويّة للفواصلِ القرآنيّة منْ جِهةٍ أخْرَى والله أعلَى وأعلَمُ.

الهوامش:

(1) فاضل صالح السّامرائي ، التّعبير القرآني ، ص : 219

(8) امتثالا للشروط المحدّدة لنشر هذا المقال .

(9) الضّحى : 3

(10) جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الخوارزميّ الزّمخشريّ ، ولد بزمخشر من أعمال خوارزم عام 467 هـ ، كان إماما في التّفسير و النّحو و اللّغة و الأدب ، واسع العلم ، معتزلي المذهب مُجَاهرا بذلك ، له عدة تصانيف أهمها : الكشّاف ، توفي بخوارزم سنة 538 هـ .

انظر : **الحمويّ ، ياقوت ، معجم الأدباء** ، دار الفكر ، بيروت ، الطّبعة الثّالثة ، سنة 1400 هـ مج : 19 / ص : 126- 135

(11) المراد بالياء هنا : الألف المقصورة.

(12) أخرجه الإمام أحمد في مسنده .

انظر : **مسند الإمام أحمد ، تحقيق : الشّيخ أحمد شاكر** ، دار المعارف ، القاهرة ، حديث رقم : 12036 ، ج 3 / ص : 104

(13) الرازيّ ، محمّد بن عمر بن الحسن أبو عبد الله ، تفسير الرازيّ (مفاتيح الغيب)،دار الفكر، بيروت ، سنة 1990 م، ج :31/ ص: 190

(14) **الشّيخ الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعيّ ، برهان الدين** ، نزيل القاهرة ثم دمشق، ولد عام : 809 هـ ، بقرية من أعمال بقاع ، ونشأ بها ، برع في علوم شتى و فاق أقرانه ، حجّ ثم اعتزل الناس ، تُوفي سنة 885هـ ، من أبرز تصانيفه : نظم الدّرر في تناسب الآيات والسّور .

انظر : **الشّوكاني ، القاضي محمد بن علي ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع** ، دار المعرفة ، بيروت ، ج : 1 / ص : 19 - 22

(15) **البِقاعيّ ، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر ، نظم الدّرر في تناسب الآيات و السّور**، تحقيق: عبد الرزّاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية ، بيروت 1415هـ / 1995 م ، ج : 8 / ص : 190

(16) **الآلوسي ، أبو الفضل شهاب الدّين محمود ، رُوح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السّبع المثاني** ، دار الفكر، بيروت ، 1403 هـ ، ج : 30 / ص : 156

و أيضا : **الشّنقيطي ، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار عالم الفوائد - جدة . ج : 8 / ص : 556

(17) **فاضل صالح السّامرائيّ** : عالم و مفسّر و نحويّ عراقيّ ، أستاذ دكتور في جامعة بغداد سابقا ، وجامعة الشّارقة حاليا .

(18) **فاضل صالح السّامرائيّ ، معاني النّحو** ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة ، الطّبعة الثّانية ،1423هـ/2003 م،ج : 2 ، ص : 81

(19) **بنت الشّاطئ : عائشة عبد الرّحمن** ، باحثة مصرية مُعاصرة ، وأستاذة الدّراسات البلاغيّة بجامعة القرويين بفاس .

(20) **بنت الشّاطئ ، عائشة عبد الرّحمن ، التّفسير البياني للقرآن الكريم** ، دار المعارف ، القاهرة ، الطّبعة السّابعة ، 1990م، ج:1/ ص:35

(21) **الفرّاء : أبو زكريا يحي بن زياد بن عبد الله** الأسدي بالوَلاء الكوفي النّحويّ ، قيل عُرف بالفرّاء لأنه كان يَفري الكلام (أي : يصلحه ويأتي بالعجيب فيه) ، كان بحرا في اللّغة و النّحو ، عارفًا بالفقه والطّب وأيّام العرب والشّعر والنّجوم ، تُوفيَ بطريق الحجّ ، سنة : 207 هـ .

انظر: **الذّهبيّ محمّد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النّبلاء ، تحقيق : مجموعة من الأساتذة** ، نشر مؤسسة الرّسالة ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، ج : 10 / ص : 118 . 121

(22) **الفخرُ الرّازي هو محمّد بن عمر بن الحسَن التَّيْميُّ البَكْريُّ الإمامُ فخرُ الدِّين الرّازيُّ** ، ابنُ خطيبِ الرَّيِّ ، إمامُ المتكلِّمين ، وُلد سنَة: 543 هـ انتشرَ اسمُه ، وبعُدَ صِيتُه ، وكانتْ له يدٌ طُولَى في الوَعْظ باللِّسانيْن العربيّ والفارسيّ ، تُوفيَ بهَرَاة ، سنة : 606 هـ .

انظر: **السّبكيّ ، تاج الدّين عبد الوهّاب بن علي ، طبقاتُ الشّافعيّة الكبْرى ، تحقيق الأستاذين : عبد الفتّاح محمّد الحلو و محمود محمّد الطّناحيّ** ، نشر عيسَى البابي الحلبيُّ و شُركاهُ ، القاهرة ، ج : 8 / ص : 81 . 96

(23) **النّيسابُوريّ : محمود بن أبي الحسَن بن الحسيْن ، أبو القاسم** ، مُفسّر لُغويٌّ ، تُوفي سنَة : 550 هـ

انظر: **خيْر الدِّين الزّركَليّ ، الأعْلام** ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطّبعة السّادسة ، 1984 ، ج : 7 / ص : 167

(24) **الضّحى : 9 - 11**

(25) **بنتُ الشّاطئ،عائشة عبد الرّحمن،الإعجاز البيانيّ للقرآن ومسائل ابن الأزرق**، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1، 1971 م ، ص : 268 - 269

(26) **طه : 7 .**

(27) **الشّعراء : 46 – 48**

(28) **طه : 29 – 32**

(29) **طه : 42**

(30) **طه : 43 – 44**

(31) **طه : 45**

(32) **طه : 46**

(33) **طه : 47**

(34) **طه : 49**

(35) **طه : 63**

(36) **طه : 90**

(37) **طه : 93**

(38) الشّعراء : 13

(39) الشّعراء : 15

(40) الشّعراء : 29

(41) الشّعراء : 35

(42) طه : 67

([37]) فاضل صالح السّامرائيّ ، التّعبير القرآنيّ ، ص : 222 – 224

([38]) هو الشّيخ الإمام العلّامة القاضِي أبو بَكر محمّد بن الطّيب بن محمّد البَصْرِيّ ثمّ البَغداديُّ ابن البَاقلانيّ، كانَ يُضْرَبُ المثلُ بفهمِهِ وذكائِهِ وكان ثِقةً إمامًا بارعًا ، صنّف في الرّدّ على الرّافضة والمُعتزلة والخَوارج ... ، وانتصرَ لطريقة الأشعريّ ، ماتَ سنة : 403 هـ ، وكانتْ جنازتُه مَشْهُودةَ

انظر : سِيَر أعلام النبلاء ، ج : 17 / ص : 190 – 193

([39]) الباقلاني ، أبو بكر محمّد بن الطّيب ، إعجاز القرآن ، تحقيق: سيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطّبعة الأولى ، 1971 م ، ص : 61 - 62

(46) أبو حيّان : محمّد بن يُوسف بن علي بن يُوسف بن حيان ، من كِبار العُلماءِ بالعربيّة والتّفسير والحديث والتّراجم واللّغات توفي سنة : 745هـ .

انظر : الأعلام ، ج : 7 / ص : 152

(47) أبو حيّان ، محمّد بن يوسف ، تفسير أبي حيّان "البحر المحيط " مكتبة ومطابع النّصر الحديثة الرياض ، ج 6 / ص : 261

(48) الخَفاجيّ ، شِهاب الدّين ، حاشية الشّهاب "عِناية القاضِي وكِفاية الرّاضِي" على تفسِير البيضاويّ دار صادر ، بيروت ،، ج : 6 / ص : 215 – 216

و أيضا : الطاهربن عاشور ، التّحرير و التّنوير ، الدّار التّونسيّة للنّشر ، الطّبعة الأولى : 1983 م ، ج : 16 / ص : 262

و كذلك : الألوسيّ ، رُوحُ المَعاني ، ج : 16 / ص : 230

(49) محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ،إمام المفسّرين، تُوفي سنة 310هـ

انظر : الأعلام ، ج : 06 / ص : 69

(50) الطّبريّ ، محمّد بن جَرير ، تفسير الطّبري " جامع البيان عن تأويل آي القرآن "، دار الحديث ، القاهرة ، 1987 ج : 13 / ص : 16

(51) ابن عطيّة ، عبد الحقّ بن غالب بن عبد الرّحمن المحاربي ، فقيه أندلسيّ من كبار المفسّرين ، توفي سنة : 452 هـ .

انظر : الأعلام : ج : 3 / ص : 282

(52) ابن عطيّة ، عبد الحقّ بن غالب ، المُحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، تحقيق : المجلس العلميّ بفاس، نشر مطابع فضالة ، المغرب ، الطّبعة الثّانيّة ، 1402هـ ، ج : 11 / ص : 88

(53) فضل عبّاس : أستاذ التّفسير والبلاغة العربيّة بالجامعة الأردنية ، وجامعة اليرموك ، وجامعة العلوم الإسلامية العالمية .

(54) طه : 67 .

(55) جمال محمود ، الدّلالات المعنويّة لفواصل الآيات القرآنيّة ، ص : 267

(56) عبد الفتّاح لاشين ، عالم مصري ، من علماء الأزهر المعاصرين

(57) عبد الفتاح لاشين . الفاصلة القرآنيّة ، دار المرّيخ ، الرّياض ، الطّبعة الأولى ، ص : 35

(58) محمد الحسناوي ، باحث سوري معاصر ، توفي رحمة الله علي

(59) الغمراوي ، عالم مصري معاصر ، متفنن في عدة علوم ، خاصة البلاغة القرآنية .

(60) محمد الحسناوي ، الفاصلة في القرآن ، دار عمار ، عَمّان ، الأردن ، الطّبعة الأولى ، 1421 هـ / 2000 م ، ص : 138 . 139

(61) المرجع نفسه ، ص : 138.

(62) المرجع نفسه ، ص : 140.

(63) جمال محمود ، الدّلالات المعنويّة للفواصل الآيات القرآنيّة ، ص : 267

(64) أحمد إسماعيل نوفل ، أستاذ التفسير بالجامعة الأردنية .

(65) المرجع نفسه ، ص : 266 - 267

(66) النّجم : 22

(67) **مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي** ، علم وأديب وناقد وشاعر، أصله من طرابلس الشام ، ومولده في بهتيم بصعيد مصر، عام : 1880 م ، وفقد سمعه في صغره ، توفي رحمه الله سنة : 1937 م ، من أشهر مصنفاته : وحي القلم ، تاريخ آداب العرب ، إعجاز القران والبلاغة النّبوية .

انظر: **الأعلام** ، ج : 7 / ص : 235

(68) **جمال محمود ، الدّلالات المعنويّة في فواصل الآيات القرآنيّة** ، ص : 130

(69) **هكذا الكلمة في الأصل ، و لعلّ المُراد منها ' وَأُدهنّ ' أوْ هي كذلك في الأصل .**

انظر : **المرجع نفسه ، ص : 130**

(70) النّجم : 21 . 22

(71) **الرّافعي ، مصطفى صادق ، إعجاز القران والبلاغة النّبويّة** ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطّبعة الثّالثة ، ص : 230 . 231

(72) ص : 14

(73) ق : 14

(74) **الإسكافي ، الخطيب ، محمّد بن عبد الله ، درّة التّنزيل وغرّة التّأويل** ، دار الآفاق الجديدة بيروت ، الطّبعة الرّابعة 1981 م ، ص : 398 . 399 .

(75) **أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الثّقفي ، أبو جعفر ، مَلاك التّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتّعطيل في توجيه المُتشابه اللّفظ من آيِ التنزيل تحقيق : سعيد الفلاح** ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، 1983 م ، ج : 2 / ص : 973.

(76) **الكرماني ، محمود بن حمزة بن نصر ، أبو القاسم** ، يعرف بتاج القراء ، توفي سنة : 505 هـ .

انظر : **الأعلام** ، ج : 7 / ص : 168

(77) **الكرماني . محمود بن حمزة ، أسرار التكرار في القرآن ، المسمى: البُرهان في توجيه مُتشابه القرآن لما فيه من الحُجّة والبيان تحقيق : عبد القادر أحمد عطا** ، دار الاعتصام ، القاهرة ، الطّبعة الثّالثة ، 1978 م ، ص : 183

(78) **المتنبي ،" أبو الطيب احمد بن الحسين " ديوان المتنبي " شرح: عبد الرّحمن البَرقوقي** ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطّبعة الأولى ، 1407 هـ ، 1986 م ج : 4 / ص : 252

(79) **البِقاعيّ ، نظم الدّرر في تناسب الآياتِ و السّور** ، ج : 16 / ص : 344 - 345

(80) ص : 2

(81) ص : 03

(82) ص : 04

(83) ق : 05

(84) ص : 7 - 8

(85) ق : 02

(86) ص : 05

(87) ص : 06

(88) ص : 07

(89) ص : 08

(90) ص : 08

(91) ص : 11

(92) ص : 14

(93) ق : 14

(94) ص : 14

(95) ص : 12

(96) ص : 15

(97) **الزّمخشري ، محمود بن عمر ، جار الله أبو القاسم ، الكشّاف عن حقائق التأويل و غوامض التّنزيل** ، دار الفكر ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، 1977 م ، ج : 3 / ص : 05

(98) **ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، أبو الفداء** ، حافظ مؤرخ ، مفسر ، فقيه تُوفي سنة : 774هـ .

انظر : **الأعلام** : ج : 1 / ص : 320

(99) **ص : 16**

(100) **الأنفال : 32**

(101) **بن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير ابن كثير" تفسير القرآن العظيم "** دار إحياء الكتب العربيّة ، القاهرة ، الطّبعة الرّابعة ، ج : 4 / ص : 29

(102) **ص : 17**

(103) **ص : 14**

(104) **فاضل صالح السّامرائيّ ، أسئلة بيانيّة في القرآن الكريم** ، مكتبة الصّحابة ، الشّارقة ، ومكتبة التابعيين ، القاهرة ، الطّبعة الأولى، 1429هـ / 2008 م ، ص : 158- 162

(105) **فاضل السّامرائي . التّعبير القرآنيّ ، ص : 236**